حصاد فلسطين

في إعادة ابتكار القُدرة على المواجهة

عامٌ يؤسّس لما بعده

مع انقضاء 2021 وبداية العام الجديد، لا يزال المثقّفون الفلسطينيون امام اسئلة مفتوحة حول طبيعة دورهم في الهمّ الجماعيّ، وجدوى ادواتهم الثقافية واولوياتها. ولكنّ المختلف هذه المرّة انّ تلك الاسئلة تاتي مترافقةً بشعور المقتدِر على المواجهة

القدس المحتلّة ـ **ساند نجم**

بدا المشهد الثقافي في فلسطين في 2021 استثنائياً في التعامل مع واقعه السياسي والاجتماعي تحت الاحتلال. إذ يُمكن القَول إنّ شعور القُدرة، والمواجهة، كانا السمة الأبرز لعامٍ شكّلت الأحداث فيه - ولا تزال - ما يُفترَضُ أن يكون رافعةً للعمل الثقافي، بعد أعوام من انحصار وظيفة «الثقافة» في مقاومة الانهيار والتعبير عن الواقع. بدا أن الناس باتوا أكثر وعياً، بعد تطبيع عدد من الدول العربية ثقافياً وسياسياً، واختبارهم حالة من النكوص الاجتماعي والسياسي، وممارسات السلطة الفلسطينية وفساد مؤسّساتها، بالإضافة إلى فشل الاحتلال في أسْرلة الفلسطينيين الذين بقوا بعد النكبة (1948) في أراضيهم.

كان رفْض الترحيل من حيّ الشيخ جرّاح، ربيع العام الماضي، الشرارة التي نقلت المواجهة إلى باب العامود وباحات المسجد الأقصى، وصولاً إلى انتفاض أبناء الشعب الفلسطيني على طول الخريطة، بخلعون علم الاستعمار عن أعمدة الشوارع، ويفتحون طرقاً سدّتها الحواجز، بالإضافة لمشهد اللاجئين الفلسطينيين على الحدود اللبنانية والأردنية، ودخول غزّة على خط المواجهة في معركة أطلق عليها اسم «سيف القدس»، أرغمت الاحتلال على الانسحاب والاستجابة لتهديدات المقاومة الفلسطينية، لأوّل مرّة. نفّذ الفلسطينيون مواجهة شعبية واسعة، شملت إضراب العاملين في القطاعات التي يحكمها الاحتلال، بالإضافة إلى مقاطعة المنتجات «الإسرائيلية».

برز المشهد الثقافي على نحو مختلف ومشتبك هذه المرّة، إذ رأينا الشعارات المرفوعة - خلال الأحداث - تُعبّر عن وعي وهمّ جماعي شامل، واشكالاً ثقافية مختلفة نزلت من المسارح والمعارض المغلقة إلى الشارع، كفنون الرقص والدبكة والأغاني الشعبية التي شاركت فيها الفتيات إلى جانب الشبّان في مساحةٍ جامعة، بالإضافة إلى الرسوم الكاريكاتيرية التي غطت عدداً من الجدران وحضرت خلال المسيرات، كذلك حضور الشِّعر الذي خُط للتعبير عن حالتي الثبات والمواجهة، إلى جانب «أن للنكبة أن تَنتهي»، الجملة البليغة التي خُطت في أكثر من بلدة في اتفاق عفوي تزامناً مع ذكرى النكبة.

وفي الوقت الذي تخوض فيه قرى فلسطينية مواجهاتٍ لا تزال مستمرّة، إلى جانب انشغال «مدن الضفّة» في حالة اشتباك مع الاحتلال، منعت «السُّلطة» الانتخابات واغتالت أجهزتها الأمنية الناشط والمُعارض نزار بنات على خلفية الرأي والتعبير، واستمرّت بملاحقة النشطاء، كاستكمال لسنوات من الإقصاء حجبت خلالها مواقع إلكترونية وروايات أدبية، ما أعاد الناس بعد أسابيع من «سيناريو التحرّر» مرّة أخرى إلى مواجهة غير مسبوقة مع السُّلطة، ضمّت طبقات جديدة كان في مقدّمتها أكاديميون وناشطون في الثقافة تعرّضوا للسحل والاعتقال في شوارع رام الله، في مسيرات انخرط فيها نشطاء من القدس والمناطق المحتلّة عام 1948. وفي الشهر الأخير من العام، قمعت أجهزة الأمن شبّاناً على خلفية رفع رايات لفصائل مختلفة خلال استقبال الأسرى المحرّرين وتشييع الشهداء، وختمت العام بقتل الشاب أمير النّدواي من مخيم عقبة جبر في أريحا لرفعه راية خضراء أثناء خروجه لاستقبال أسير محرّر.

وامتدت «موجة القُدرة»، خلال العام، إلى داخل سجون الاحتلال، بتحرّر ستة أسرى نجحوا في كسر المنظومة الأمنية الاحتلالية قبل أن يُعاد اعتقالهم مرّة أخرى، وإضرابات عن الطعام، ومواجهة عالية الوتيرة مع إدارة سجون الاحتلال.

وعلى جانب آخر، لم تستطع «وزارة الثقافة» في رام الله رغم النوايا الطيبة الانفصال عن حالة الترهل السياسي وضعف الأداء المؤسساتي العام الذي يعتور «الوزارات»، إذ على الرغم من اكتساب «الوزارة عاماً جديداً للتحضير من أجل فعاليات «بيت لحم عاصمة الثقافة العربية» بسبب جائحة كورونا، بعدما تبيّن أنها لم تكن مستعدّة حتى اللحظة الأخيرة في عام انتشار الوباء، إلا أنّ شعار المناسبة بقي مفتقداً للذوق الفنّي ومجموعة من المواد الإعلامية التعريفية ببيت لحم وشخصيات بارزة فيها. موقّف لا يبتعد كثيراً عن إعلان القدس عاصمةً للثقافة الإسلامية قبل عامين.

الحال المستمر منذ عقد لا يتبدّل فيه شيء سوى في المواجهة وكسر حالة العجز، والتي لم تُترجَم بعد في العمل الأدبي، فبقي الهمّ السياسي طاغياً على الإنتاج الأدبي الفلسطيني، وكان لافتاً البحث في أصل الحكايات الذي حملته إصدارات العام المنقضي، بالإضافة إلى النقد الاجتماعي، في أعمال سردية مثل «الإنجيل المنحول لزانية المعبد» لأسامة العيسة، الذي أثار جدلاً حول الاسم والطرح، و«أكثر من حُب: رسائل محمود شقير وحزامة حبايب»، و«سيّدة الخبز» لنور السبوع، و«النار والعنقاء» بجزأيه الاثنين لوليد سيف، و«غريب» لأنور حامد، و«ماساة كاتب قصّة قصيرة» لإبراهيم نصر الله، و«تاء مربوطة» لخالد غنام، و«سكنة الهجير» لحيدر عوض الله، و«نانا» لخليل ناصيف، و«احتضار عند حافة الذاكرة» لأحمد الحرباوي، و«عالم 9» لمحمد جبعيتي.

ولعل من أبرز إصدارات 2021 الروائية «الجنّة المقفلة» لعاطف أبو سيف التي مرّت بدون انتباه كاف لها، وربما حجبها موقع كاتبها كوزير للثقافة وكقيادي في حركة فتح.

وصدرت مجموعة أعمال في القصّة القصيرة، منها: «جيجي وأرنب علّي» لأمير حمد، و«محاولات للنجاة» لغسان ذقاق، و«اعترافات شهرزاد وقصص أخرى» لمصلح كناعنة، وقصة «لهذا ربّان يمشي هكذا» ليحيى عاشور ورسومات قواريق.

وصدرت للراحل محمد الأسعد ثلاثة كتب: «الفلسطيني يتلو فاتحة القرن الجديد: قراءات في الماضي/ الحاضر» عن «خطوط وظلال»، كما أعادت الدار نفسها طبع كتابه «مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ» في نسخة جديدة وموسّعة، وترجمة لرواية «الشياطين» لـ فيودور دوستويفسكي (منشورات «ذات السلاسل»).

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تحدي الفضاء الافتراضي

بعد عام ثانٍ في ظلّ جائحة كورونا، يُمكننا القول إن شكلاً ثقافيّاً جديداً ما زال في حيّز التجربة والتوظيف في ما يخص الانشطة والفعاليات، مثل إقامة ندوات وورشات عمل الكترونية عبر تطبيقي «زووم» والبث المباشر، والحضور على منصّات صوتية بتقنية البودكاست. لكن السؤال الأهم يبقى في قدرة الفضاء الافتراضي على تقديم السردية الفلسطينية في مواجهة السردية الاستعمارية، عالمياً وحتى عربياً ولا سيما مع هرولة انظمة التطبيع.

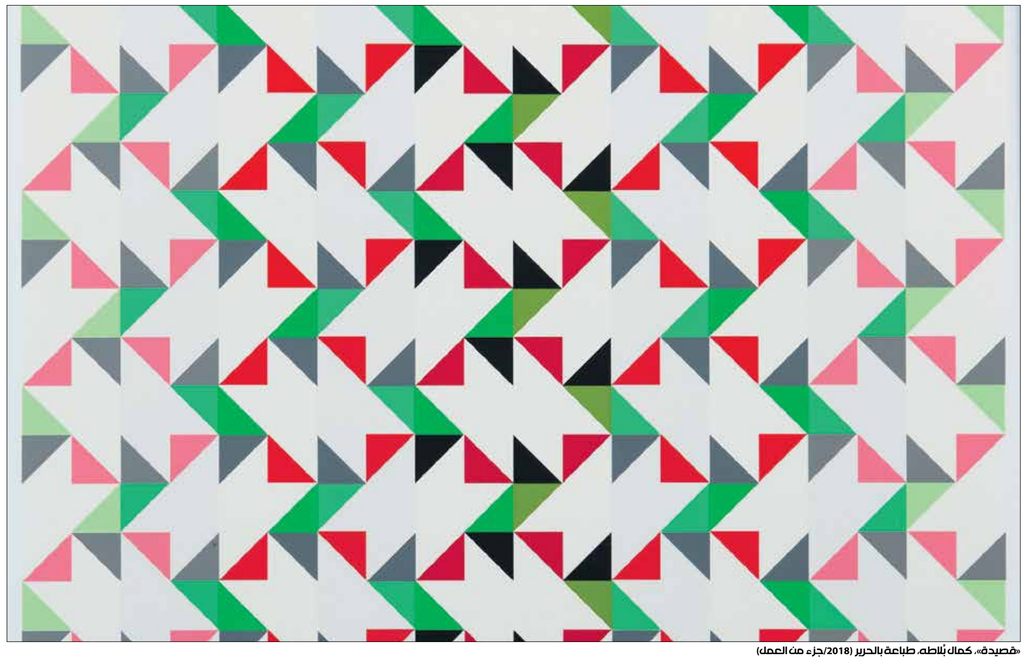

«قصيدة»، كمال بُلاطه، طباعة بالحرير (2018/جزء من العمل)

شهد 2021 خروجاً بالثقافة والفنون إلى الشوارع

لعلّ المثقّفين يجدون أجوبة على سؤال التحرّر هذا العام

البصري، فضلاً عن إهمال المؤسّسة الرسمية لبيت لحم على المستوى الثقافي أصلاً والفهم المتخلف للقائمين على بلدية بيت لحم لمعاني الثقافة (لا تميز بينها وبين السياحة الدينية)، بالإضافة إلى أن شكل الفعاليات لم يرتقِ لحجم الاسم والمناسبة، واقتصر على بعض العروض الراقصة والمسرحية، وفيلم

الفنان بلال خالد وهو يرسم جدارية في مدينة غزّة. تصوير: يوليو 2021 (Getty)

إضاءة

حركة بطيئة تسحب نفسها إلى الأمام بقوّة

محاولة تشكيل رافعة معنوية

في مقابل وهن المؤسّسة الرسمية، بدت الساحة الثقافية الفلسطينية، خلال العام الماضي، أقلّ ارتباكاً وهشاشة، لا سيما أثناء الهجوم على غزّة

رام الله ـ **امير داود**

لم يكن العام المنقضي، مثله مثل كثير من الأعوام التي سبقته، محطّ آمال على الصعيد الثقافي في فلسطين المحتلّة. لا خطط جدّية مماسسة، ولا محاولات رسمية للارتقاء بالحالة الثقافية، إذ لم يتعدّ ما جرى إنجازه هوامش الجهود الفردية، أو جهود بعض مؤسّسات المجتمع المدني التي تُعنى بالشأن الثقافي. ولعل الجائحة في عامها الثاني أحالت الكثير من الخطط، هذا إذا كانت هنالك خطط جدّية تُذكر، إلى مجرّد أفكار قابلة للتأجيل في أية لحظة؛ فقد أغلقت مؤسّسات الثقافة أبوابها في معظم محطّات العام، مكتفية بعقد ورشات ولقاءات إلكترونية هنا وهناك، وبالتالي لا يتجاوز الحديث عن منجز ثقافي في هذا العام أو ذاك - في ظل غياب رؤية وسياسات ثقافية - حدود الإحصاء والعدّ ضمن المنظومة البدائية في تقييم الأشياء.

وكما في غيره من الأعوام، حافظت رام الله، في 2021، على مركزيتها المفرطة كممركز ثقافي فلسطيني دونما عن غيرها من محافظات فلسطين، في الأحداث والمناسبات الثقافية كافة؛ إذ استضافت المدينة «المركز» الأنشطة الأساسية كافة - على محدوديتها - واستمرّ تهميش الأطراف، بالتوازي مع تهميش الريف والمخيّم، ناهيك عن سياسة التكريس المستمرّة لأسماء كتّاب دون غيرهم. وعلى طريقة العواصم العربية في نماذج التنمية التي تخدم المركز السياسي (العاصمة) فقط، استأثرت رام الله بحصّة الأسد في كلّ ما يمتّ إلى الثقافة بصلة في فلسطين المحتلّة، من فعاليات وإصدارات كُتب، وبقيت المدن الأخرى تسبح في ما يُراد أن يُبقيها أطرافاً مهمّشة لا يصلها إلا فتات، هذا إذا وصل، في حين بقيت غزّة ترزح تحت وقع آلام الحرب الأخيرة والحصار وتشديدات منظومة الحكم السياسي هناك. ولعلّ اللافت في أحداث العام الماضي، وتيرةُ الجدل الصاخب الذي رافق مجموعة من الأحداث، كان أبرزها إقالة رئيس المكتبة الوطنية»، إيهاب بسيسو، من عمله بسبب منشور على فيسبوك آدان فيه مقتل الناشط السياسي الفلسطيني نزار بنات، قبل أن يجري تعيين عيسى قراقع على رأس المكتبة التي لم تبدأ عملها بعد، واكتفت بعقد مجموعة من الجلسات لمجلس إدارتها.

ليس بعيداً عن أجواء التعيين والإقالات، فقد صدر مرسوم رئاسي نهاية العام يقضي بتعيين مدير عام «دار الشروق للنشر» فتحي البس مديراً عاماً لمؤسّسة ومتحف محمود درويش التي طلّت تفتح وتغلق في الفترة الأخيرة بسبب الجائحة، آثار المرسوم تساؤلات عدّة؛ لأنّ مجلس إدارة المؤسّسة هو من يُفترَض أن يعيّن مديرها العام، في حين رحّب مثقّفون فلسطينيون بتعيين البس مديراً للمؤسّسة.

ظهرت الساحة الثقافية في فلسطين أقلّ ارتباكاً وهشاشة، لا سيما أثناء الهجوم الإسرائيلي على غزّة منتصف العام، وما رافقه من هبّة جماهيرية أسقطت الحدود المكانية بين مكوّنات الشعب الفلسطيني، وإضراب كبير كانت له القدرة على توحيد مكوّنات الشعب تحت ذات الشعار من زمن طويل انقضى.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تمهيشٌ ثقافي للأطراف بالتوازي مع تهميش الريف والمخيّم

وقفة مع

دلال البزري

تقف هذه الزاوية، مع مبدعة عربية في أسئلة سريعة حول انشغالاتها الإبداعية وجديد إنتاجها

بيروت ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

لبنان. ثم لبنان. ياكل وقتي وقلبي. يومياً، وأحياناً لساعات طويلة. كل يوم أقول إن ثمة أشياء أخرى، أسرق الانتباه إليها من نفسي: المناخ. الهجرات. الصين. الموارد. الجمال. تحوّلات العلاقة بين الجنسين...

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر عمل هو دراسة ميدانية عن يساريين لبنانيين، وسياقات انخراطهم في أحزاب شيوعية. وانفصالهم أو ديمومتهم، وانقسامهم الحاد حول «الممانعة»، المتمثلة في لبنان بـ«حزب الله». عنوانه «يساريون لبنانيون في زمنهم». عملي القادم؟ أطبخه على نيران متفاوتة. بصفته على علاقة بالحرب أو بالحروب.

■ هل أنت راضية عن إنتاجك ولماذا؟

لا راضية ولا محبطة. ربما هو القتال المستمر. ولكن بلى... حالتا الرضى والإحباط، أعرفهما. وإنما للحظات. يعود بعدها الصراع من أجل البقاء، أقوى من كل شيء، يرفدني بالمدد. الحياة لا تمزح في ساحة الحروب المتواصلة.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختارين؟

من جديد؟ بعقلي هذا؟ بعمري هذا؟ أو من دونهما؟ البدء من جديد أو الولادة من جديد؟ سؤال طوباوي، أو دعوة إلى الأحلام. حسناً. كنت اخترتُ الغناء والرقص. ولكن هل كنت بذلك ساتجنب شرور القدر والاجتماع الإنساني؟

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟

لا انتظر أي تغيير. وربما لا أريد لأنني لا أستطيع افتعال الانتظار. إلا إذا كان محرّك السؤال هو التماهي مع «الشعوب» التي «إذا أرادت يوماً»، فسوف «يستجيب القدر»... وهذا موضوع آخر... قائم بذاته.

■ شخصية من الماضي تودين لقاءها. ولماذا هي بالذات؟

الفنان والعالم الإيطالي ليوناردو دافنشي. وحبّه الغريب للموناليزا. قصة حب نورانية، محلّقة الروح. في ابتسامتها وعينيها، والمشعّتين حزناً وأملاً، رقصاً وغفّة. لم تكتمل. لأن الموناليزا قضت بحادث عرَبَة. عندما لمح الملك الفرنسي فرنسوا الأول لوحتها التي باتت تُعرف بـ«الجوكندا»، طلب من دافنشي شراءها. وهذا الأخير وضع شرطاً واحداً على البيع: أن يتسلمها الملك الفرنسي بعد وفاته.

■ صديق/ة يخطر على بالك أو كتاب تعودين إليه دائماً؟

يخطر ببالي كتاب «الشخصية المحمدية» للعراقي معروف الرصافي، من ثلاثينيات القرن الماضي. كتاب ضخم محظور. شديد الثراء بصفائه الذهني، واستيعابه لمراجعه المتخاصمة، بإيمانه «النقدي»، إذا جاز التعبير. قد يتحوّل يوماً إلى كتاب أبقونة لو أخذ العرب بعضاً من حقهم في إعادة قراءة تاريخهم.

■ ماذا تقرئين الآن؟

انتهيتُ للتو من قراءة ثلاثية التونسية هالة الوردي، ومكتوبة بالفرنسية: «La déchirure»، و«A l'ombre des sabres»، و«Meurtre à la mosquée». هي ثلاثية شيقة، رصينة، سياقية.

لا انتظر اي تغيير الا إذا كان محرّك السؤال هو التماهي مع الشعوب

بطاقة

كاتبة وباحثة لبنانية من مواليد دكار في السنغال عام 1952. من مؤلفاتها: «غرامشي في الديوانية» (1994)، و«دنيا الدين والدولة» (1994)، و«الخوات الظل والبقين» (1996)، و«السياسة أقوى من الحداثة» (2000)، و«مصر ضد مصر» (2008)، و«مصر التي في خاطري» (2011)، و«سنوات السعادة الثورية» (2015)، و«دفاتر الحرب الأهلية» (2017). وصدر لها نهاية السنة المنقضية كتاب «يساريون لبنانيون في زمنهم» عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات».

تروي سنوات نشأة الإسلام الأولى بعد وفاة الرسول، عهدَي أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب. قرأت قبل ذلك أول كتبها «الأيام الأخيرة لمحمد». وأتمنى أن تكون الآن بصدد الإعداد للبقية، أي عهدَي عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

■ ماذا تسمعين الآن وهل تقترحين علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

اكتشافات: فرق الأمازيغ الجديدة. الموسيقار القبرغيزي إميل غستاروف. فرقة المصري حسن شاكوش للمهرجانات الشعبية. أغنية «أمانة عليك» لكارم محمود، ولكن بصوت حمزة فضلاوي. وبعض أرقى أغاني من الربرتوار المسفّى «هابط».

من القديم: أعود إلى عبد الحليم وعبد الوهاب. بعض مقاطع من «الأطلال» و«أنت عمري» لأم كلثوم.

وكذلك سيرج ريجياني، خصوصاً «الحنين... سيدتي»، وأدامو «الليل»، وجورج برانسنز، ولّيو فيري.

دلال البزري

إضاءات

شكّل 2021 عامَ فقدٍ في الشعر الفلسطيني، الذي شهد غياب عددٍ من أبرز اسمائه، مثل **مريد البرغوثي** الذي رحل في شباط/ فبراير عن 76 عاماً، و**عزّ الدين المناصرة** (الصورة)، الذي رحل عن 75 عاماً في نيسان/ أبريل، في حين غادرنا الشاعر والروائي والناقد **محمّد الأسعد** في أيلول/ سبتمبر، عن 77 عاماً.

مثّلت هبّة الشعب الفلسطيني، في أيّار/ مايو الماضي، لمناصرة سكّان حيّ الشيخ بالقدس المحتلة في مواجهة المشروع الاستيطاني الصهيوني، نواةً للعديد من حملات التضامن عربياً وعالمياً. مثلاً، اعلنت الكاتبة الايرلندية **سالي روني** (الصورة) رفْضها صدور ترجمة لروايتها الاخيرة في «اسرائيل»، تضامناً مع فلسطين، ما يشكل إلى جانب مواقف وخطوات مشابهة توسيعاً لدوائر المقاطعة الثقافية لـ«اسرائيل».

حضر اسم فلسطين في العديد من الفعاليات العربية والدولية التي تناولت تاريخ البلد ونضال شعبه وعرّفت بأعمال مبدعيه، مثل معرض «هندسة الضوء» البرليني الذي استُحيدث فيه اشتغالات **كمال بُلّاطه** (1942 - 2019/ الصورة) تشكيلياً ومفكراً بصرياً، واحتفاء مجلّة «بانيبال» اللندنية في عددها 70 بالكاتب **محمود شقير** (1941).

صدر في 2021 العديد من الكتب التي تتمحور حول فلسطين وقضيّتها وتاريخها وادبها وفنونها، مثل العمل الجماعي «مفهمة فلسطين الحديثة: نماذج من المعرفة التحرّرية»، و«الموسيقى والغناء في فلسطين قبل 1948 وبعدها» للاخوة سحّاب، و«الرواية الفلسطينية من سنة 1948 حتى الحاضر» للناقد **بشير ابو مَنّة** (الصورة).